فيصل بن عبد العزيز والعمل العربى المشترك

د٠ سيد نوفل
الامين العام المساعد
لجامعة الدول العربية

……

هل كان من آيات القدر ودلالاته ان يلقى فيصل بن عبد العزيز ربه شهيدا ، يوم ذكرى المولد الشريف لرسول الوحدة العربية ، بابعادها الاسلامية والعالمية الخالدة على الزمان ؟!

وهل كان من آيات القدر ودلالاته ان تنشب المنية اظفارها في الزعيم العربى ، وأمته اشد ما تكون حاجة الى عزمه في اخطر مراحل نضالها القومى ، وهو يمارس في مكتبه جهوده المخلصة في دعم وحدة العمل العربى وينتهى من لقاء ويتهيا للقاء آخر مع بعض رجال السياسة والاقتصاد العرب ٠

وهل كان من آيات القدر ودلالاته ان يستشهد القائد العربى الكبير ، ومجلس جامعة الدول العربية ، الذى طالما اعتز بمواقف الملك الشهيد الفاصلة ، يعقد فيه وزراء الخارجية اولى جلساتهم ويحمى وطيس المناقشة للموقف العربى والدولى ، فينزل نبأ وفاته على المجتمعين افجع نزول وتصمت الالسن الا من ذكر العاهل الفقيد ، وتؤجل الجلسات الى اجل غير مسمى ، حتى يفيق المجتمعون من هول النازلة ، ويؤدوا للبطل العربى واجب الوداع الاليم الاخير ؟

ليس من شك ان للقدر حساباته الدقيقة ، وآياته المعجزة ، وتصاريفه التى تحار في فهمها العقول ، وتضل في اكتناه اسرارها الافهام ولكنها على ذلك تمضى حاسمة قاطعة ، وتمضى معها وبها مسيرة الاحداث والعصور ٠٠٠

● فيصل الجندى والسياسى ●

الحق أن فيصل من رجال التاريخ العربى المعدودين وطنيا وعربيا ودوليا ، وأنه كان مثلا عاليا في الجندية والسياسة والحكم ٠٠

فهو الساعد القوى لوالده المغفور له الملك عبد العزيز في الفتوحات التي أدت الى تاسيس الدولة السعودية الحديثة عام ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين ، وفي بناء الدولة الوليدة وتكوين قوتها السياسية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية الموحدة ٠ ويكفي أن نذكر قولة والده العظيم : تمنيت لو كان لدى ثلاثة من طراز فيصل !

وهو القائد المقاتل الذى قاد ، وهو دون العشرين ، خمسة وأربعين ألف جندى في عام خمسة وعشرين وتسعمائة وألف وانتصر في معارك انشاء المملكة وما اتصل بها ، وهو نائب الملك في الحجاز عام ستة وعشرين ، ورئيس مجلس الشورى عام سبعة وعشرين ٠

وهو وزير خارجية الدولة الفتية ، منذ عين أول وزير خارجية لها عام تسعة وعشرين ، وظل يحتفظ بهذا المنصب رئيسا للوزراء وملكا الى ان اختاره اللهالىجواره

وهو رئيس وفد السعودية لدى مؤتمر سان فرانسسكو المؤسس للامم المتحدة عام خمسة وأربعين، ولدى الدورات الاولى الهامة للجمعية العامة للمنظمة العالمية٠

وهو واضع قواعد العلاقات السعودية عربيا واسلاميا ودوليا ، والساهر على تنفيذها ٠

ولهذا يصح القول بان فيصل كان ملك السعودية قبل ولاية عرشها في خريف عام أربعة وستين ٠

دور فيصل العربى

ومن اهم الادوار الاساسية لفيصل دوره في دعم التضامن العربى والعمل العربى المشترك، وخاصة منذ تاسيس جامعة الدول العربية فيربيع عام خمسةواربعين وتسعمائة والف حتى مؤتمر القمة العربى بالرباط في خريف عام أربعة وسبعين ٠

واذا كان من المتعين أن نلقي في البداية نظرة شاملة على قواعد سياسة فيصل العربية ، فليس أبين من فيصل نفسه حديثا عنها ٠٠٠

فحين بويع بعد خلع أخيه سعود ، في الخامس من نوفمبر (تشرين الثانى) لعام أربعة وستين وتسعمائة وألف ، ألقى أول خطاب مبينا سياسته في بناء التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى ومجتمع الرخاء لمملكته وفي المجالات العربية والاسلامية والدولية ... وقد جاءت بيعته بعد مؤتمر القمة العربى الثالث بالاسكندرية في سبتمبر (أيلول) من ذات العام ، وما سبقه بثمانية أشهر من مؤتمر القمة العربى الثانى بالقاهرة ، وما تبعهما بشهر من مؤتمر القمة الثانى للبلاد غير المنحازة بالقاهرة ..

وقد تحدث عن ايمانه بالتعاون الدولي الحر والسلام العالمى العادل ، « بوحى من تعاليم ديننا ، وتقاليدنا العربية الاصيلة » ، ثم قال :

« ومن أهداف سياستنا العربية المعروفة التعاون الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة ، وتنفيذ مقررات مؤتمرى القمة العربيين ، والسعى الى تحرير جميع أجزاء الوطن العربى التى لا تزال تحت الاستعمار ، والسير مع الدول الاسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعة شانهم ، ونؤيد ميثاق جامعة الدول العربية . ونؤيد ميثاق هيئة الامم المتحدة ومقررات مؤتمر باندونج ودول عدم الانحياز » .

ولكي نتبين مدى الدلالة .. على تقديم فيصل الالتزام بمقررات مؤتمرى القمة السابق ذكرهما ، ينبغى أن نستذكر ما تضمنته هذه المقررات من قاعدة وأربع دعائم لوحدة العمل العربى . أما القاعدة فهى دعم التضامن العربى وتوثيق الروابط الاخوية بين الدول العربية . وأما الدعائم الاربع ، فهى الانفاق على المشروع العربى لاستثمار مياه نهر الاردن وعلى الدفاع العسكرى في سورية ولبنان والاردن ، واقامة القيادة العربية الموحدة للجيوش العربية ، واقامة جيش التحرير ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ودعم العمل العربى المشترك اقتصاديا وعلميا واجتماعيا ، ابتداء من قيام السوق العربية المشتركة الى قيام المجلس العلمى الدولى لاستخدام الذرة ...

كما ينبغي أن نذكر أن مصر والسعودية والكويت ، ومن بعدها العراق فالجزائر قد التزمت بالقسم الاكبر من نفقات هذه المشروعات التي بلغت في ذلك الوقت نحو ثلاثمائة وخمسين مليون جنيه استرلينى .

وحين بويع الملك خالد عقب اغتيال اخيه فيصل ، في الخامس والعشرين من مارس (اذار) الماضي ، أكد المتابعة للسياسة الخارجية السعودية وتحدث عن التضامن الاسلامي ركيزة للسياسة الخارجية السعودية ، وأملا في دعم السلام العالمى العادل . ثم قال :

«والركيزة الثانية للسياسة الخارجية التي وضعها العاهل الراحل دعم وحدة الصف العربى واقامة تعاون عربي حقيقي وفعال بين مختلف الشعوب العربية في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها . وهذا ما عبر عنه رحمه الله عندما قال:

« يجب على العرب بصفة خاصة أن يتصلوا ببعضهم البعض ، وأن يتفاهموا وأن وأن يتحابوا ، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ليدرءوا عن انفسهم وعن

مستقبلهم ما يهددهم من أخطار ، سواء من الناحية الدينية أو من النواحي السياسية والمذهبية ، ولقد اثبتت التجارب أن الفرقة تجلب الاخطار وأن وحدة الصف تدرؤها » وستسعى حكومتنا بايمان عميق الى تطبيق ما قاله العاهل الراحل • وان المملكة العربية السعودية تعتبر نفسها سندا لكل عربى وفي خدمة كل عربى ، وتهدف الى التعاون والتضامن والى الاخاء ، ومن خلال هاتين الركيزتين : التضامن الاسلامي ووحدة الصف العربى ، تنطلق جهود المملكة باعادة الحقوق المغصوبة لشعب فلسطين واستعادة الاراضي العربية المحتلة ، وتجند كل طاقاتها المادية والبشرية لاعادة الحق المغصوب وتعتمد في ذلك ، بعد الله ، على عدالة قضيتنا وايمان الشعب السعودى بها »

وقد اكد فيصل ، وكرر التاكيد ، أن التضامن الاسلامي قوة للتضامن العربى ، وانه دعامة للنضال العربي العادل لتحرير الارض العربية المحتلة ، وفي مقدمتها القدس ، وفي استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني • وكان يقول دائما : ان العروبة والاسلام متكاملان ، ويتمثل بقول عمر أمير المؤمنين العربى ، الذى كان يطمح فيصل الى احياء عهد خلافته : « نحن ـ العرب ـ قوم أعزنا الله بالاسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله » • ولم يكن فيصل يخفى أن هدف نهجه هو حماية العرب من المذاهب الاجنبية المستوردة ، التى تمثل في رأيه أعظم الاخطار ، وتحصينهم بتعاليم الاسلام : دين الحق والعدل والسلام للبشرية جمعاء

وليس من اليسير تتبع مواقف فيصل لاكثر من أربعين عاما ، تبيانا لايمانه بالتضامن العربى ، وأعماله الجادة لدعم وحدة العمل العربى المشترك •• ولكنى اكتفى بالاشارة الى بعض المواقف نتاجا للاتصال المباشر بها •

التضامن المصرى السعودى قاعدة للتضامن العربى

وكان من المبادىء السياسية التى امن بها فيصل ، وتحراها طوال حياته ، ان التضامن المصرى السعودى ، هو القاعدة الاساسية للتضامن العربى •••

وقد تبينت ذلك على اتمه في وقت مبكر ، في ربيع عام ١٩٣٦ ، ففى ذلك العام عهد على ماهر رئيس الوزراء المصرية الى الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة بزيارة السعودية ، ومحادثة المسئولين في المملكة الوليدة في دعم العلاقات المصرية السعودية ، وازالة جميع الشوائب التى علقت بها •• وحدثني الدكتور هيكل حديثا مستفيضا عن ايمان فيصل وزير الخارجية بتنمية التعاون بين البلدين لخير الامة العربية جمعاء ، وأن والده الملك عبد العزيز يخلص الحديث في ذلك أعظم الاخلاص • ولهذا لم يلبث على ماهر أن وقع مع الحكومة السعودية اتفاقية الاخوة والتعاون قبيل تركه وزارة المائة يوم ••

وظهر هذا التعاون على أتمة في تاسيس جامعة الدول العربية ، واتفاق الراى السعودى مع الراى المصرى في جميع المواقف، وفي زيارة الملك عبدالعزيز لمصر عام ١٩٤٦ ، وافتتاحه مع رئيس الدولة المصرية أول دار للجامعة ، وفي مناصرة حركات التحرير العربية وفي المقاومة للاستعمار البريطاني في عمان والخليج في أواسط الخمسينات ، وفي التعاون ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ سياسيا واقتصاديا ، وفي مقاومة العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، ثم في حرب اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ • وكان فيصل رئيس الحكومة ثم الملك يؤكد دائما أنه لا يحرص على شيء حرصه على قوة مصر ودعم مواقفها ، وانه لم ياس لشيء أساه لتعكر صفو العلاقات بين البلدين الشقيقين فترة من الزمان وان رايه في ذلك يستند الى تحرى المصالح العربية العليا ، والتقدير الحق لضرورة استخدام جميع القوى العربية القادرة على مواجهة الاخطار العدوانية التى تتهدد الامة العربية ، وعلى بناء التقدم العربى الاقتصادى والاجتماعى •

دور فيصل في الصراع العربي الاسرائيلي

وكان دور فيصل في الصراع العربي الاسرائيلي دورا بارزا ، يتميز بالجد والمثابرة والاخلاص ، والتقدير السليم للواقع العربي والدولي ••• وقد عاصر هذا

الصراع واخلص في اداء الواجب نحوه ، منذ بداية العشرينات الى ان لقى ربه ٠ وكان منذ العدوان الاسرائيلي الحالى يدعو الله دائما أن يصلى في مسجد عمر بمدينة القدس بعد تحريرها ٠ وترك الدنيا ، محملا المخلصين لمبادئه ولوطنهم الكبير مسئولية التحرير للمدينة العربية المقدسة ٠٠٠ وكان منطلقه في هذا عربيا اسلاميا ، اذ يؤمن بان اغتصاب أية أرض عربية اسلامية يفرض على العرب والمسلمين النضال الى ان يتم استرداد الحق السليب ، وتحرير الارض المحتلة ، وأن القاعد عن ذلك آثم امام أمته في الدنيا ، وأمام ربه في الاخرة ٠٠٠

لكنه كان يؤكد مع ذلك دائما أن الامر يستلزم العمل الجماعي العربى والاسلامى على اساس علمى وخطة مدروسة واستخدام تام لجميع الامكانيات العربية ، وسعى للافادة من جميع القوى الدولية ٠٠ وكثيرا ما قال « ان ردع الخطر الاسرائيلى رهن بانتهاج سياسة واضحة ، قوامها جهد دائم ، ليتخلص كل عربى من لعنة التخلف ، وتعاون عربى مخلص بين كل العواصم العربية مهما تنوعت نظمها السياسية والاجتماعية » ٠

وفي عام سبعة واربعين وتسعمائة وألف ، كان قطب المجموعة العربية لدى الامم المتحدة ٠ ومن أجل فلسطين أيد دعوة مصر الى انتهاج سياسة مستقلة في الامم المتحدة ، تلتزم بمبادىء الميثاق والعدل الدولي ، ولا تميل شرقا ولا غربا ، وجمع الدول العربية من حول هذه السياسة المستقلة ، التى سميت من بعد سياسة الحياد الايجابى او عدم الانحياز ٠٠ وانتقد موقف الولايات المتحدة الامريكية عدة مرات داخل الامم المتحدة ، وفي المناسبات الاجتماعية ٠

ومن قوله في المناقشة العامة للجمعية العامة : «اننا نطلب بحث القضية على اساس الحق والعدل، غير متاثرين بموقف دولة معينة او لجنة معينة٠ لقد كنا نرجوالا يسرع رئيس وفد الولايات المتحدة الامريكية الى معارضة حقوق الشعب الفلسطينى ، قبل اجتماع اللجنة السياسية ومناقشة الموضوع ٠ كما كنا نامل من حكومة الولايات المتحدة ومندوبها الحياد ! ٠ لكنه يسارع الى ابداء رايه قبل بحث الموضوع وتكوين راى فيه » ٠

وفي نهاية المناقشة لقضية فلسطين ، في أواخر نوفمبر (تشرين الثانى) هاجم في قوة وصدق موقف الولايات المتحدة وبريطانيا وحملهما مسئولية الظلم الذى وقع على فلسطين العربية وقال مفندا أقوالهما :

«والزعم بان قسمة فلسطين تفض المشكلة زعم تحكمى ، مصدره روح الاستبداد٠ وتدخل حكومة الولايات المتحدة لمصلحة الصهيونيين وتاييدها لهم أمران شاذان غير مفهومين ٠ وبخاصة ان الحكومة الامريكية تقيد الهجرة الحرة الى بلادها ٠ وأن تصريحات مندوب الولايات المتحدة ، وأعضاء الكونجرس وكبار المسئولين في الحكومة الامريكية ، لتدعو الى العجب ٠ كما أنها تناقض مبادىء ميثاق الاطلسى ، وميثاق الامم المتحدة ، وتمثل افتياتا صارخا على حقوق الانسان الاساسية »

وفي سبيل نصرة النضال العربى ضد الاستعمار الصهيونى ، ادى فيصل ما رتبه على حكومته من الالتزامات المالية السمحاء في أوقاتها وباسلوب مثالى حقا ، واستخدم الامكانات الاقتصادية والسياسية الكبرى المتاحة له ، وسعى لدعم الروابط العربية بالدول الاسلامية والافريقية وسائر البلاد النامية ، كما سعى لكسب القوى الاجنبية المؤثر ة ما وسعه السعى ومكنه الجهد ٠٠٠

بين الشئون الداخلية والمسئولية القومية

وفي مجال المسئولية العربية القومية ، كان فكر فيصل متقدما الى اقصى غايات التقدم ٠٠٠ وكان يرى أنه لا يمكن لاى مما يسمى الشئون الداخلية لدولة عربية أن يحول دون حمل المسئولية القومية من تصحيح نهجها عند الاعوجاج ، وفي تنبيهها الى أن المصالح العربية العليا واحدة لا تتجزأ ٠٠

ولقد اعجبت بالكثير من مواقفه في هذا الشان ، وفي حثه الصريح للدول العربية بان تؤدى واجباتها نحو بعضها البعض دون قصد ولا من ٠٠

وما زلت أذكر بالاعجاب مواقفه في المبادرات المتصلة الى الالتزام بالواجب القومى كما كان يحرص على ان يسمى تقديم العون المالى ، من دولة عربية الى شقيقاتها العربيات

كان ذلك رائعا في مؤتمرات القمة عامى أربعة وستين وخمسة وستين بالقاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وفي معارضته لموقف سياسة القمة عام ستة وستين ٠ وكان آروع ما يكون في مؤتمر الخرطوم عام سبعة وستين ، وفي مؤتمرى الجزائر والرباط من بعدهما ٠٠

ولقد أعجبت ايما اعجاب بموقفه الرائع في معارضة حلف بغداد عامى أربعة وخمسين وخمسة وخمسين كما أعجبت بموقف فريد له في عام تسعة وخمسين وكان ذلك أثناء آجتماع اللجنة السياسية لوزراء الخارجية العرب ببيروت في السابع من ابريل (نيسان) لذلك العام ٠٠

لقد كان اجتماع اللجنة مخصصا لبحث موقف العراق ، لعهد عبد الكريم قاسم ، من بعض شقيقاتها ٠٠ وتحدث أحد وزراء الخارجية مشيرا الى أن العراق متخلف عن الاجتماع ، وأن هذا البحث يمكن أن تعترض عليه الحكومة العراقية بانه يناقض احكام ميثاق الجامعة التى تحظر التدخل في الشئون الداخلية للدول الاعضاء ٠

ولكن فيصل ، رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية حينذاك ، انبرى في قوة يقول : لقد تجاوزت أمتنا هذه المرحلة التى مرت عليها خمسة عشر عاما . ولم تصبح هنالك شئون داخلية لاى بلد عربي وشئون عربية مشتركة فكل شان من شئون اى من بلادنا ، بوحى من المصالح المشتركة والاخطار المهددة لنا جميعا ، هو شاننا كلنا ومن حقنا ان نعمل من أجل اصلاحه .

ثم اتجه الى قائلا : لقد عودنا الدكتور نوفل ان يعبر عن ارائنا ويصوغ مشاكلنا فيأسلوب يختصر الكثير منالجهود الضائعة، ويؤدى للوطن ولكل ذى حق حقه فارجو ان يصوغ المبادىء التى تحدثنا فيها ، ويعرضها علينا ... »

وتلقيت شكرا ما زلت اعتز به من فيصل ومن اللجنة ، كما تلقيت موافقتها على مشروع القرار ، المعبر عن الحرص على التضامن العربى ، ورعاية المصالح القومية الاساسية ، وعن مبادىء فيصل العربية الصريحة ..

« اولا ــ وجوب تمسك الدول العربية بسياسة عدم الانحياز ، وعدم التبعية ، وهي السياسة التي تصون استقلال الدول العربية وسيادتها مبتعدة بذلك عن المؤثرات والتيارات الخارجية المختلفة .

« ثانيا ــ اعراب اللجنة عن الحرص على تمكين الاواصر القومية التى تشد العرب بعضهم الى بعض ، والتي تقضى بالتضامن ووحدة الصف العربى انسجاما مع مبادىء ميثاق جامعة الدول العربية .

« ثالثا ــ شجب اللجنة لاى تاثير خارجي ، من اى جهة اتي ، يستهدف تفرقة العرب ، والتجاوز عن حقهم في تقرير شئونهم بانفسهم ، أو يؤدى الى المساس بمعتقداتهم وبقضاياهم القومية ومثلهم العليا ، او يجر الى تدهور العلاقات بين الدول العربية .

« رابعا ــ مناشدة اللجنة للحكومة العراقية الانسجام مع الدول العربية في التقيد بالمقررات المتخذة في هذا الاجتماع ، وذلك حرصا على التعاون والتضامن فيما بين العرب جميعا ، ومن أجل مصلحتهم العليا » .

رحم الله فيصلا ! لقد كان عظيما في حياته وفي مماته ، وكان احسن أسوة للعرب وللمسلمين . وكان حقا لامة أن تاسى أعمق الاسى عليه ... ولم يكن عجبا ان تفيض نفوس أعدائها حقدا عليه طوال حياته ، والا يستطيعوا كتمان الشماتة بعد وفاته ..

لكن فيصلا ، بمبادئه ومثله العالية ونهجه القومى والدينى ، خالد في ضمير امته، وفي ضمير الانسانية ..

د. سعيد نوفل